خواطر حول

سورة فاطر

أ. د. السيد عبد الحليم محمد حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خواطر حول
سورة فاطر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: معاني المفردات:

الكلمة	معناها
﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	موجدها على غير مثال يُحتذى.
﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾	ذوي أجنحة عديدة.
﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ﴾	ما يرسل الله للناس رحمة، أي رحمة كانت.
﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾	من ذلك ما يمكن ولا يقدر أحد أن يرسله من بعد إمساكه.
﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ﴾	لا خالق غيره سبحانه، وهو استفهام تقريع وتوبيخ وإنكار.
﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾	فكيف تُصرفون عن توحيد الخالق والرازق إلى الشرك.
﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾	فلا تخدعنكم ولا تلهينكم بالزخارف.
﴿ٱلْغَرُورُ﴾	الشيطان بما يمنيكم من الأماني الكاذبة.
﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	فعادوه بطاعة الله، ولا تطيعوه في معاصي الله.
﴿يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾	يدعو أشياعه وأتباعه المطيعين له إلى معاصي الله سبحانه لأجل أن يكونوا من أهل النار.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ﴾	لا تقتل نفسك حزنًا على استمرارهم في الضلال.
﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾	تحركه وتزعجه من مكانه.
﴿بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾	قد مات نباته، وظمئ أهله وحيوانه.
﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾	أحيينا بالمطر الأرض بإنبات ما ينبت فيها.
﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾	مثل إحياء الموات الذي تشاهدونه، إحياء الأموات للحساب.
﴿يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ﴾	الشرف والمنعة.
﴿يَبُورُ﴾	يبطل ويفسُد فلا ينفعهم.
﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ﴾	ما يُمدّ في عمر أحد.
﴿فِي كِتَٰبٍ﴾	عنده تعالى في اللوح المحفوظ، أو في الصحيفة، أو في العلم الأزلي. أو بقضائه تعالى.
﴿عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾	شديد العذوبة وهو ماء النهر.
﴿سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ﴾	سهل شربه وانحداره في الحلق لعذوبته.
﴿مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾	شديد الملوحة.
﴿حِلۡيَةٗ﴾	اللؤلؤ والأصداف والمرجان.
﴿ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾	شواف للمياه بصدورها يجريها الله مقبلة ومدبرة بريح واحدة.
﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾	يدخل أحدهما في الآخر.
﴿لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾	زمن مقدر لفنائها وهو يوم القيامة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾	ما يملكون قشرة نواة فما فوقها ولا يقدرون على شيء.
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾	ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى وإنما تحمل كل نفس إثم الفعل الذي باشرته أو تسببت فيه.
﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا﴾	وإن تطلب نفس مثقلة بالذنوب من يحمل عنها لا تجد من يستجيب لها ولو كان من أقربائها.
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ﴾	إن إنذارك لا ينفع إلا الذين يخافون الله.
﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾	ومن تطهر من دنس الذنوب بالإيمان والتوبة فإنما يتطهر لنفسه وإليها يعود الأجر والثواب.
﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾	شبّه الكافر بالأعمى في عدم اهتدائه، والمؤمن بالبصير في اهتدائه.
﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾	شبّه الباطل بالظلمات، وشبّه الحق بالنور.
﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ﴾	ولا يستوي الظل الذي لا حَرَّ فيه ولا أذى، والحرّ الذي يؤذي. قيل: أراد الثواب والعقاب، أو أراد بالظل الجنة، وبالحرور: النار.
﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ﴾	فشبّه المؤمنين بالأحياء، وشبّه الكافرين بالأموات وقيل أراد تمثيل العلماء والجهلة.
﴿بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾	الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم فهم في حكم الأموات لعدم استجابتهم.
﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾	ما أنت إلا رسول منذر.
﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾	بالمعجزات الواضحة، الدلالات الظاهرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾	بالكتب المنزلة من عند الله.
﴿نَكِيرِ﴾	إنكاري عليهم بحلول عقوبتي بهم.
﴿جُدَدٌۢ﴾	ذوو طرائق وخطوط تخالف لون الجبل.
﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾	هو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه.
﴿وَٱلدَّوَآبِّ﴾	كل ما يدبّ على الأرض ما عدا الإنسان والأنعام.
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾	إنما يخاف الله تعالى بالغيب العالمون به.
﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾	لن تكسر ولن تهلك.
﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	موافقًا لما تقدمه من الكتب.
﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾	القرآن الذي أوحينا إليك.
﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾	وهم أمتك يا محمد.
﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾	بارتكاب صغائر الذنوب، أو من قد رجحت سيئاته على حسناته.
﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾	معتدل في أمر الدين، أو من تساوت حسناته وسيئاته.
﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾	وهو السابق لغيره في أمور الدين أو من رجحت حسناته على سيئاته وكل هؤلاء في الجنة.
﴿ٱلْحَزَنَ﴾	حزن السيئات والذنوب وخوف رد الطاعات.
﴿أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾	أنزلنا دار الإقامة الدائمة- الجنة.
﴿نَصَبٌ﴾	تعب ومشقة وعناء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾	يستغيثون ويضجون في النار رافعين أصواتهم.
﴿لُغُوبٌ﴾	إعياء وكلال من التعب.
﴿كَفُورٍ﴾	كل من هو مبالغ في الكفر.
﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾	ألم نمهلكم ونطيل عمركم لما يمكنكم من التذكر لمن أراد ذلك.
﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾	النبي الذي ينذركم ويحذركم من عذاب الله.
﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾	فما لكم من ناصر يمنعكم من عذاب الله.
﴿جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾	خلفاء في أرضه تملكون منافعها وتتصرفون فيها.
﴿مَقۡتٗا﴾	أشد البغض والاحتقار والغضب.
﴿خَسَارٗا﴾	هلاكًا وخسرانًا في الآخرة.
﴿أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ﴾	أخبروني عن حال شركائكم.
﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ﴾	ألهم شركة مع الله في خلق السموات حتى تستحقوا ما زعمتم فيهم.
﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا﴾	أم أنزلنا عليهم كتابًا يُبيح لهم شركهم بالله.
﴿فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ﴾	أي حجة ظاهرة منه.
﴿إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم﴾	كما يفعله الرؤساء والقادة من المواعيد لأتباعهم يغرونهم ويزينون لهم الأباطيل.
﴿غُرُورًا﴾	وعدًا باطلاً.
﴿يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	بيان قدرة الله سبحانه بعد بيان ضعف الأصنام وعدم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
	قدرتها على شيء.
﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ﴾	لا يقدر أحد غيره تعالى على إمساكهما.
﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾	أي غاية اجتهادهم في تغليظها.
﴿أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾	المراد قريش أقسموا قبل أن يبعث الله محمدًا بهذا القسم.
﴿نُفُورًا﴾	تباعدًا عن إجابته في الهدى.
﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾	شركهم بالله أو كيدهم للنبي ﷺ.
﴿وَلَا يَحِيقُ﴾	لا يصيب ولا ينزل.
﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾	فما ينتظرون.
﴿سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	سنة الله فيهم بتعذيبهم لتكذيبهم.
﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	هو يوم القيامة.
﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾	حل موعد موتهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: المعاني

- بين يدي السورة.
- هي من السور المكية: هي دعوة للتأمل في هذا الكون وعظمة الوجود.
- وهي تذكر بآلاء الله وأنعمه.
- تشعر برحمة الله ورعايته.
- وتصور مصارع الغابرين وعاقبتهم يوم الدين.
- تصور بدائع صنع الله ﷻ وتبرز آثارها في أعماق النفس، وحياة البشر، وأحداث التاريخ.
- وتوضح تلك الآثار في وحدة الحق واتساق الشريعة مع وحدانية الكبير المتعال.
- تأخذ على النفس أقطارها، وتهتف بالقلب إلى الإيمان والخشوع والإذعان.
- الله وحده يتجلى في ملكوته إيجادًا وعدمًا لا يعجزه شيء فيه.
- مع السورة الكريمة:

توجيه القلب إلى الله بالتسبيح والحمد والابتهال: الآيات (١ - ٣):

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ١ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٖ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٣﴾ [فاطر: ١- ٣].

سعادة الإنسان في التفات نفسه إلى الله ﷻ، فكل النعم التي نستمتع بها إنما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هي من مُسديها ومعطيها رب العالمين، ومن معرفة الجميل والمعروف أن يكون الحمد والثناء، والشكر والدعاء لمن وهب وأفاض، وهذا موقف أخلاقي فطري، لأنه صاحب النعم.. فالحمد مُستَحقٌّ لله وحده.

فيتوجه القلب إلى الله لأنه هو الذي أوجد وأنشأ النفس الإنسانية، وأنه خالق السموات والأرض وموجودها بجميع خصائصها المادية والمعنوية.

وهو دليل على كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه، سبحانه أنشأ الخلائق من فوقنا ومن تحتنا، ولو وقفنا نتدبر خلق السموات والأرض ومدلولها الهائل، لها لنا موقع النجوم في السماء، وأحجامها ونسبها، وطرق سيرها في مداراتها، ونسب الفضاء حولها، وعلاقة بعضها ببعض في أحجامها والروعة والرهبة أمام مشاهد النجوم المتناثرة في الليلة الظلماء، والنور الفائض في الليلة القمراء، والفجر المشقشق بالنور الموحي بالنفس والانطلاق، والغروب الزاحف بالظلام الموحي بالوداع والانتهاء، ومشاهد الأرض التي لا يستقصيها إنسان، فالزهور لا ينتهي التأمل في ألوانها وأصباغها وتشكيلها وتنسيقها، والقرآن الكريم يدعونا لتأملها وتدبرها، لإدراك عظمة صانعها ومبدعها ليعود القلب لمولاه بالحمد والثناء. فالحمد لله جعل بين السموات والأرض رسلاً ينقلون أوامر السماء إلى الأرض، ويرفعون أعمال العباد إلى السماء، إنهم الملائكة، وصفهم الحق بقوله:

﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ الله سبحانه جعل الملائكة في:

- تبدير أوامره القدرية ووسائط بينه وبين خلقه في تبليغ أوامره الدينية.

- كونهم رسلاً لم يستثن منهم أحدًا، دليل على كمال طاعتهم وانقيادهم لله وطاعة أمره.

- الملائكة مدبرات بأمر الله جعلهم موكلين فيه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- لهم أجنحة يطيرون بها فيسرعون في تنفيذ الأوامر الربانية.

- منهم من له جناحان، وثلاثة، وأربعة على حسب مقتضى الحكمة الإلهية.

كما جاء في الحديث «أن رسول الله ﷺ رأى جبريل ليلة الإسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب» مسلم.

﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ يزيد بعض مخلوقاته على بعض في الصفة، والقوة، والحسن، وزيادة بعض مخلوقاته في خلقته، وفي حسن الأصوات ولذة النغمات.. الخ. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ من النقصان والزيادة، من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء، وقوة في البطش، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجرأة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان، ولباقة في التكلم، وحسن تأت في مزاولة الأمور، والآية مطلقة في كل زيادة.

من صور قدرة الله التي تربط القلب بالله:

يريد الله سبحانه أن يوجه نظر عباده إلى أن قوة الله وحده هي التي تفيض عليهم بالخير إذا أراده.

ورحمة الله لن تستطيع قوى الأرض أن تحجبها عن الإنسان إذا أرادها الله.

فلا ترجُ وسيلة إذا أُحجبت عنك رحمة الله، ولا تخف فوت وسيلة إذا جاءتك رحمة الله، وهذا ليصلك برحمته وحده، ورحمته سبحانه، تجدها في ذاتك، وفي نفسك، وفي تكوينك، وفي طباعك، وعقلك، وقدرتك، وعضلاتك، وجوارحك، وفيما سخر لك في السموات والأرض، وفيما تعلم وما لا تعلم، فبرحمة الله تتفجر ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة داخل النفس ومع إمساكها تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكد والمعاناة.

فإذا فتح الله أبواب رحمته فلا ممسك لها، ومتى أمسكها فلا مرسل لها،

www.alukah.net

فلا مخافة من أحد، ولا رجاء من أحد، وما بين الناس ورحمة الله إلا أن يطلبوها مباشرة منه بلا واسطة ولا وسيلة إلا التوجه إليه في طاعة وثقة واستسلام: فلا ضيق مع رحمة الله، إنما الضيق في إمساكها.

- **الله وحده الخالق الرازق:**

الناس حولهم السماء والأرض تفيضان عليهم بالنعم والأرزاق، وتتوالى خيرات الله تنسكب عليهم بالعطاء، ولا ينقطع مدده عنهم ليل نهار، ولا يستطيع أحد أن يمدهم بهذا الخير العميم، فهل من خالق غيره سبحانه يرزقهم؟ فإذا لم يكن خالق رازق غير الله فمالهم لا يذكرون ولا يشكرون؟ وما لهم ينصرفون عن الله بالتوجه والعبادة، والدعاء والابتهال؟ إنه سبحانه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

فكيف ينصرفون عن الإيمان بهذا الحق الذي لا شك فيه، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣﴾؟ ألم تلمسوا عظمة القدرة الحانية في الخلق والرزق تتغشاكم؟ إذا كان الخالق هو الله والرازق هو الله فكيف تنصرفون عنه؟ إلى أين أنت ذاهب؟ إلى من تتجه؟ بمن تؤمن؟ ومن ترجو؟ وممن تخاف؟ أتأمل عطاء من غير الله؟ أترضي الناس وتُسخط الله؟ ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨]. الله سبحانه قطع أفعال الناس عن رزق العباد، واختص بها وحده دون سواه.

المعركة بين الحق والباطل قديمة: الآية (٤):

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤﴾ [فاطر: ٤].

دائمًا وأبدًا الحق والباطل يتصارعان، وقوى الخير والشر تتعاكسان.

والحق له أعداء، وهذا شيء واقع، ومن تمرس في الحياة لا يستغرب ما يلاقيه من متاعب. وهي سنة الله في خلقه، وفي الآية تسلية للنبي ﷺ ومواساة، فيقول له:

www.alukah.net

لست يا محمد أوّل من كُذِّب، ولن تكون آخرهم، فدائمًا هناك من يُعارض الحق، ويطعن فيه، ويسخر منه، ويكذبه، ويكيد له، ويريد أن يطفئه، لكن الأمر كله لله.

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] والأمور تدور، والقوى تصطرع وهناك من يعلو، ومن يخبو، ولا يستقر إلا الحق على قدميه: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: ٨١]. وكم رأينا من باطل قد تهاوى وتساقط لأسباب صغيرة ما كان يُظن أن تتهاوى لها ولكن شاء الله ذلك. ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٥١]. ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

المؤمن يمتحن بأعداء يواجهونه، فحينما سمح الله لهمه أن يكذبوك، ابتلاهم بأنهم كَذَبوا، وابتلاك بأنك قد كُذِبت، فالمكَذَّب لا يتخلى عن دعوته ويترك الحق لأنه قد علم أنه ابتلاء من الله وله أعظم الأجر على الصبر. والمكذِّب يقع في الخسران المبين لمناهضة الحق والتغلب عليه، ولا يظلم ربك أحدًا.

التحذير من خدع الشيطان: الآيات (٥ - ٨):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٥- ٨].

المعادات لا محالة، لأنه حق وواقع لا يتخلف، والحياة الدنيا تغر وتخدع.

ووعد الله ووعيده حق، والنار حق، والجنة حق، والصراط حق، والميزان حق، ونشر الصحف حق، وعذاب القبر حق، والبرزخ حق، وأي وعد وعد به الله

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يجب أن نؤمن به كأنه وقع.

والله سبحانه وتعالى قد وعد بالموت، فينبغي ألا يغتر الإنسان بالدنيا، فهي تغرُّ، وتضرُّ وتمّر.

قدم عمر بن الخطاب الشام، فتلقاه أمراء الأجناد. فقال: أين أخي أبو عبيدة؟ فقالوا: يأتي الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه، وسأله حتى أتى منزله، فلم ير فيه شيئًا إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر: لو اتخذت متاعًا؟! فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقيل. وأثمن شيء في الدنيا معرفة الله والاستقامة على أمره وما سوى ذلك باطل.

أخرج الترمذي عن سهل بن سعد قال: قال ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**» فإذا نسينا ربنا من أجل الدنيا فعندئذ وقعنا في الاغترار.

وأخرج الحاكم عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «**عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به**».

وفي الدعاء الشريف في سنن الترمذي عن ابن عمر مرفوعًا: «... ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا». فالمغرور بالدنيا من آثرها على آخرته، وارتكب المعاصي والموبقات، وأكل المال الحرام، وتعدى على الناس، وبنى مجده على أنقاضهم، وبنى عزه على ذلهم، وبنى غناه على فقرهم، وبنى حياته على موتهم، هذا مغرور يسعى من أجل دنيا محدودة.

ليس من يقطع طرفا بطلا ** إنما من يتقى الله البطل

أما ﴿ٱلۡغَرُورُ﴾ فهو الشيطان، الذي يغر ويخدع دائمًا، فلا تمكنوه من أنفسكم، لأنه أعلن عداوته لكم، وإصراره على عدائكم، لا تركنوا إليه، ولا تتخذوه ناصحًا لكم،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا تتبعوا خطواته، وهو لا يدعوكم إلى خير، ولا ينتهي بكم إلى نجاة ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ فالمعركة قائمة بين الشيطان والإنسان، ومهمته الوسوسة والإضلال عن سبيل الله ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠] أتتخذون هذا الذي رفض أن يسجد لأبيكم تكريمًا له، ولكم، وليًا لكم؟ أم تتخذونه هاديًا لكم إلى جهنم؟.

الشيطان يعمل: على دمار الإنسان وشقائه، وانحرافه، وإضلاله، لذلك:

ينسيه ذكر الله، ويحض على الغيبة، والنميمة، والاستعلاء، والسخرية، والبذاءة، والمزاح الرخيص، وترك الفرائض، وفعل المنهيات، كالزنا، وتبرج النساء، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والعقوق، وترك الخير، وفعل الشر... الخ. الشيطان يعدكم الفقر، ويوقع بينكم العداوة والبغضاء ويعدكم ويمنيكم ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠] فاستعد للمعركة التي لا تهدأ ولا تضع أوزارها في هذه الأرض مع الشيطان.

ثم بين الله عاقبة المتبعين للشيطان، والمؤمنين الذين طاردوه فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

- **مفتاح الشر كله:**

إعجاب المرء بنفسه وبكل ما يصدر عنها، فيرى عمله كله حسنًا، ولوثوقه بأنه على صواب دائمًا لا يخطئ فلا يفتش على عيوبه وأخطائه، فهو مفتون بذاته، لذلك لا يطيق أن يراجعه أحد في عمله أو رأيه، فلا موضع فيه للنقصان، ولا مجال فيه للنقد، لأنه مزّين له حسنٌ في عين نفسه. وهذا هو البلاء الذي يصبه الشيطان على الإنسان، وهذا هو المقود الذي يقوده منه إلى الضلال، وإلى دار البوار.

إن الذي يكتب الله له الهدى والخير يكون على حذر، ويلتفت إلى حساب نفسه لأنه لا يأمن مكر الله، ولا الوقوع في الخطأ والزلل، ولا يأمن النقص والعجز،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهو دائم التفتيش والمحاسبة لنفسه، والحذر من الشيطان، والتطلع لعون الله.

وهذا هو الفارق بين الهدى والضلال. ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ أهذا المغرور الذي أعمى قلبه كبره واستعلاءه وضلاله عن الحق يُرجى له صلاح ومتاب؟ أفهذا كمن يحاسب نفسه ويراقب الله؟ أفهذا يستوي مع المتقين المتواضعين؟.

إن مثل هذا قد كتب الله عليه الضلالة مستحقًا لها بما زين له الشيطان من سوء عمله، وبما فتح عليه هذا الباب الذي لا يعود منه ضال، فإن الله يضل من يشاء بما تقتضيه طبيعة الضلال، ويهدي من يشاء بما تقتضيه طبيعة الهدى من المحاسبة والتقوى، لذلك ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ فالهدى ليس من أمر البشر، إنه من أمر القلوب التي يقلبها ربنا كيف يشاء، ويبين لرسوله مواساة له: أن هذا ليس من أمره، وإنما هو من أمر الله.

وعلى الدعاة أن يبلغوا دعوتهم، ثم لا يأسوا بعد ذلك على من لم يقدر له الله الصلاح والفلاح. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾.

وتقدير الآية: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً كمن كان عمله صالحاً وابتغى به وجه الله ﷻ هل يستويان؟ وهذا من الإيجاز في القرآن كما قال سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨﴾ [السجدة: ١٨]، ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ﴾ [الجاثية: ٢١]، ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥﴾ [القصص: ٦١] ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾.

والإضلال -هنا- قد عزى إلى الله، وهو إضلال جزائي مبني على ضلال اختياري، فالعاصي والكافر اختار لنفسه الضلالة، وهو موقف اختياري، فكان الجزاء الإضلال من الله له. لذلك قال سبحانه: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ فلا تحسر يا محمد على تركهم الإيمان، ولا تحزن إن كذبوك وعارضوك ورفضوا الاستجابة لدعوتك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دلائل الإيمان:

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝١١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فاطر: ٩- ١٤].

أدلة الإيمان عرضها الحق سبحانه في صفحة الكون:

- ظاهرة الرياح والسحاب والمطر وإحياء الأرض بعد موتها.
- وفي ذلك دليل على البعث والنشور.
- خلق الإنسان من تراب.
- البحران المتمايزان وتنوعهما.
- الليل والنهار وتداخلهما طولاً وتقصرًا.
- تسخير الشمس والقمر.

الله -وحده- هو خالقها ومسيرها، ومالكها فلماذا اللجوء إلى الشركاء والأنداد الذين لا يخلقون ولا يملكون ولا يسيرون، ولا يستجيبون لمن دعاهم، بل ويتبرؤون ممن لجأ إليهم ودعاهم من دون الله.

www.alukah.net

الكون أثر من آثار الله، تتجلى فيه حكمته ورحمته وقدرته وعلمه ولطفه وقوته.

فالرياح الساخنة تثير بخار الماء، والرياح الباردة تعيد البخار إلى ماء فتتكون الأمطار، التي تحيي البلد الميت، فترتدي حلة قشيبة بعد أن اهتزت بالماء وربت وأصبحت قطعة من الجنة، والمروج خضراء، والأنهار والأزهار والبراعم والأوراق والثمار ذات الألوان والأشكال والروائح المختلفة ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]. فمن الذي أحياها بعد الموت؟ فالذي أحياها بعد موتها قادر على أن يعيد هذه الأجسام بعد فنائها ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ هذه الآية الكونية دليل على إعادة الخلق.

- لا عزة إلا بطاعة:

من كان يريد أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة كلها ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ [النساء: ١٣٩]. والله سبحانه يربط العزة والرفعة والمنعة والاستعلاء بالكلم الطيب الصاعد إلى الله، مع العمل الصالح المرفوع إليه. وقد روى الإمام أحمد عن النعمان ابن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**الذين يذكرون من جلال الله، من تسبيحه وتكبيره، وتحميده، وتهليله، يتعاطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، يذكرن بصاحبهن ألا يحب أحدكم ألا يزال له عند الله شيء يذكر به؟**» رواه ابن ماجه.

أقوال في رفع العمل الصالح:

قال ابن عباس: الكلم الطيب ذكر الله، يُصعد به إلى الله ﷻ، والعمل الصالح أداء الفرائض، ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رُدّ كلامه على عمله، فكان أولى به.

وقال مجاهد: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب.

وقال إياس: لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الحسن وقتادة: لا يقبل قول إلا بعمل.

﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يوهمون أنهم في طاعة الله، وهم بقضاء إلى الله ﷻ يراؤون بأعمالهم، سواء أكانوا من المشركين أم من غيرهم، والله سبحانه يفسد ويبطل زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهي، فإنه ما أسرَّ عبد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم، بل يكشف لهم عن قريب وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية.

النشأة الأولى للإنسان:

يورد القرآن من حين لآخر آية من الآيات الكونية التي تدعونا إلى التأمل والتفكر.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ..﴾ أن الله خلق آدم من تراب ونحن نسله، مساوين في الخلقة الترابية ﴿۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾ [طه: ٥٥]. وإذا كنا تراب، ومصيرنا إليه، والتراب يداس بالأقدام، فعلام التكبر؟

خفف الوطء ما أظن أديم ** الأرض إلا من هذه الأجساد

سِر إن استطعت في الهواء رويدًا ** لا اختيالاً على رفات العباد

(والنطفة هي حوين من بين ثلاثة مئة مليون حوين تخرج من الرجل في اللقاح الزوجي، فتختار البويضة واحدًا منها، وهذا الحوين له رأس، وعنق، وذيل، ويتحرك عن طريق ذيله كحركة السمكة، ويتحرك في الساعة ١٠ سم تقريبًا، وفي رأسه مادة نبيلة مغلفة بغشاء، فإن اصطدمت بالبويضة تمزق الغشاء وأذابت هذه المادة النبيلة جدار البويضة ودخلت إليها. وهذا الحوين عليه خمسة آلاف مليون معلومة عن كل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصفات الدقيقة للجنين... ثم يولد الطفل كائنًا سويًا له قوام وجلد ودماغ فيه ١٤٠ مليار خلية، و١٤ مليار خلية قشرية، وله أعصاب، وهيكل عظمي، وعظام متحركة، وأخرى ثابتة، ومفاصل متحركة وثابتة، وعضلات مخططة، وأخرى ملساء، وجهاز هضم، وفم ولسان، وبلعوم ومريء، ومعدة، وأمعاء دقيقة وغليظة، وكبد، وبنكرياس، ورئتان، وقلب، ودسامات وأوردة وشرايين، وغدد صماء، وأخرى ذات إفراز داخلي وخارجي، في هذا الطفل الصغير.

الكبد يقوم بخمسة آلاف وظيفة، والقلب يضخ في اليوم الواحد ما يساوي ثمانية أمتار مكعبة من الدم، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥].

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكرًا وأنثى، في الأناسي، والنباتات، والحيوانات يكاد يكون التكاثر الزوجي هو النمط الأعم الغالب في الحياة.

- ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ هذه صورة علم الله المحيط بكل حمل تحمله أنثى في هذه الأرض جميعًا. فعلم الله على كل حمل ووضع في هذا الكون المترامي الأطراف.

- ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١﴾ إذا تأملت في هذا الكون وجميع الأحياء فيه من إنسان، وحيوان وطير وشجر... على اختلاف في الأجسام، والأحجام والأشكال والأنواع والأجناس وتأملت وتفكرت في أعمارها، طولاً وقصرًا أدركت عظمة الباري في الإحاطة بها علمًا وتسجيلها في كتاب عنده. ﴿۞ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٤٩].

والتعبير بطول الأجل وعد الأعوام، كما يكون بالبركة في العمر والتوفيق في

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

استثماره في الخير، كذلك يكون نقص العمر بقصره في عدد السنين، أو نزع البركة منها، روى النسائي عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يُبسَط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه» البخاري ومسلم.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ سهل عليه، يسير لديه علمه بذلك وبتفصيله في جميع مخلوقاته، فإن علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شيء منها.

وعلى المسلم ألا يقيس عمره بمدته، بل يقيسه بما قدَّم من عمل صالح، فالنبي ﷺ عاش ٦٣ عامًا لكنه ﷺ ترك أثرًا في الحياة لا يُمحى إلى يوم القيامة، فترك أثرًا في مشارق الأرض ومغاربها، كان رحمة مهداة، ونعمة مرجاه، وكذلك ترك العلماء العاملون آثارًا جليلة لا تقاس بالسنين.

- تنوع الماء:

الماء منه عذب سائغ، وهذا مرٌّ مالح، وكلاهم يفترقان ويلتقيان، بتسخير الله في خدمة الإنسان.

الماء السائغ هو قوام الحياة لكل حي، نستخدمه وننتفع به.

الماء المر المالح يقول فيه أحد العلماء: «وعلى الرغم من الانبعاثات الغازية من الأرض طول الدهر -ومعظمها سام- فإن الهواء باق دون تلويث في الواقع، ودون تغيير في نسبته المتوازنة اللازمة لوجود الإنسان، وعجلة الموازنة العظيمة هي تلك الكتلة الفسيحة من - أي المحيط- الذي استحدث منه الحياة والغذاء والمطر والمناخ المعتدل، والنباتات، وأخيرًا الإنسان نفسه» وهذا ما تكشف من حكمة الخلق والتنويع الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

ثم يلتقي البحران المختلفان في تسخيرهما للإنسان:

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واللحم الطري: هو الأسماك والحيوانات البحرية على اختلافها.

والحلية: من اللؤلؤ والمرجان. والمرجان يتخذ منه الحلي، والفلك تمخر البحار والأنهار، تساعدها الرياح، والقوى المسخرة كقوى البخار، وقوة الكهرباء، وغيرهما وكلها من تسخير الله للإنسان.

﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ بالسفر، والانتفاع باللحم الطري، والحلى واستخدام الماء والسفن في البحار والأنهار.

﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾ وقد يسر الله لكم أسباب الشكر، ليعينكم على الأداء.

فتشكرونه على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم وهو البحر تتصرفون فيه كيف شئتم وتذهبون أين أردتم، ولا يمتنع عليكم شيء منه، بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الأرض، الجميع من فضله ومن رحمته.

تسخير الليل والنهار والشمس والقمر:

وهذا من قدرته التامة وسلطانه العزيز في تسخيره الليل بظلامه، والنهار بضيائه.

ويأخذ من طول هذا فيزيد في قصر هذا فيعتدلان، ثم يتعارضان صيفًا وشتاء.

ولكن في نظام دقيق مطرد، لا يتخلف، ولا يضطرب على مر الأيام وطول السنين.

وسخر النجوم السيارات، والتوابت الثاقبات، بأضوائهن أجرام السموات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن تقديرًا من عزيز عليم.

﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ إلى يوم القيامة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بطلان ادعاء الشرك وخسران عاقبته:

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾ ذلكم الله ربكم فهل عرفتم من هو الله؟ وهل عرفتم مقام الربوبية؟

طبيعة الهدى غير طبيعة الضلال: الآيات (١٥ - ٢٦):

﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ [فاطر: ١٥- ٢٦].

- على الناس أن ينظروا في علاقتهم بالله وفي حقيقة أنفسهم.
- التسوية والتسلية للنبي عما يجد من إعراض وضلال.
- الاختلاف بين طبيعتي الهدى والضلال عميق.
- الصلة والشبه بين: الهدى والبصر والنور والظل والحياة (أمثلة تضرب للمؤمن) كما بين: العمى والظلمة والحرور والموت (أمثلة تضرب للكافر).
- التنبيه والتحذير من مصارع المكذبين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

عرض الآيات:

حتى لا يركب الناس الغرور هم في حاجة وهم يُدْعَوْنَ إلى الهدى أنهم هم الفقراء المحاويج إلى الله. فالله غني عنهم، لأنه قوي باق عالم محيط بملكه، إنهم فقراء لله في كل شيء: في إيجادهم، وإعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، وفي إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، والشدائد، وفي تربيتهم وأجناس التدبير، فقراء في تأليههم له وتعبدهم وإخلاص العبودية لله، وفي تعليمهم، فقراء في كل أمر من أمور الدين والدنيا، وفي جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات، وبشرعه، ولو شاء لأذهب الناس جميعًا، وأتى بقوم غيرهم وليس ذلك بصعب عليه ولا ممتنع.

ويوم القيامة كل واحد يجازى بعمله ولا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يستجاب للذين أثقلتهم الذنوب والأوزار حال استغاثتهم لمن يحمل عنهم من أوزارهم، فلا يغني قريب عن قريب، ولا والد عن ولده، ولا مولود عن والده، فليست حال الآخرة بمنزلة حال الدنيا التي يساعد فيها الحميم حميمه... الخ.

فالجزاء في الآخرة فردى لا يغني فيه أحد عن أحد شيئًا، فكل محاسب على ما كسبت يداه، يحمل حمله وحده، لا يعينه أحد عليه، ومن يتطهر فإنما يتطهر لنفسه، وهو الكاسب وحده لا سواه، والأمر كله صائر إلى الله.. وحقيقة فردية التبعية والجزاء توقظ الفرد لمحاسبة نفسه قبل أن يحاسب، ثم لا يقلق من مؤاخذته بجريرة غيره.. إن الله لا يحاسب الناس جملة، إنما يحاسبهم فردًا فردًا، كل محاسب على إحسانه، أو إساءته حتى يقف أمام الميزان والوزن.

- **الإنذار لمن يخشى مولاه:**

الذين يخشون ربهم في السر والعلانية، والمشهد والمغيب، هم الذين يفلح فيهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإنذار، أنهم يخشون ربهم ولم يشاهدوه، ويقيمون الصلاة ليتصلوا بربهم ويعبدوه.

ومن زكى نفسه بالتقى من العيوب، وتطهر لينتفع بطهره، لينقي القلب وخوالجه ومشاعره وسلوكه واتجاهه، فهو الفائز.

وفي النهاية: الله ﷻ هو المجازي، فلا يذهب عمل صالح، ولا يفلت عمل سيء ولا يوكل الحكم والجزاء لغير الله العادل سبحانه.

- موازنة بين الإيمان والكفر:

هل يستوي عند الله الإيمان والكفر، والخير والشر، والهدى والضلال؟

وهل يستوي العمى والبصر، والظلمة والنور، والظل والحرور، والحياة والموت؟

- بين طبيعة الكفر، وطبيعة كل من العمى والظلمة، والحرور، والموت، صلة.

- وبين طبيعة الإيمان وطبيعة كل من النور والبصر والظل والحياة صلة.

- فالإيمان: نور في القلب والجوارح والحواس.

فالإيمان: بصر، يرى رؤية حقيقية صادقة.

فالإيمان: ظل ظليل تستروحه النفس ويرتاح له القلب.

فالإيمان: حياة في القلوب والمشاعر والقصد والاتجاه.

- والكفر: عمى في طبيعة القلب، وعن رؤية دلائل الحق.

- والكفر: ظلمة أو ظلمات تعز فيها الرؤية الصحيحة.

- والكفر: هاجرة، حرور، تلفح القلب لوافح الحيرة والقلق تنتهي به إلى لفحة العذاب في جهنم.

- والكفر: موت في الضمير، وانفصال عن الطريق الصحيح.

ولكل منهما جزاؤه ولن يستويان عند الله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

فالمتضادات في حكمة الله، وفيما أودعه في نظر عباده، لا تتساوى، فلا يستوي المؤمن والكافر، ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها.

- مواساة وتسرية للنبي:

الرسول ﷺ ليس إلا نذيرًا، وفي قبول الدعوة لا يستوي الأحياء والعقلاء، والأموات الجهلاء، كما لا يستوي المؤمن والكافر، فالله يسمع أولياءه الذين خلقهم لجنته، ولا يسمع الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم، فهم بمنزلة أهل القبور في أنهم لا ينتفعون بما يسمعونه ولا يقبلونه، فلا عليك يا محمد من إعراضهم، لأن هداهم ليس لك، فأنت رسول منذر، ليس عليك إلا التبليغ، إنما الهدى بيد الله تعالى، فأنت تبشر أهل الطاعة بالجنة، وتنذر أهل المعاصي بالنار، ومثلك مثل من سبقك من الرسل في الأمم السابقة، فإن كذبك قومك من كفار قريش، فالأمم السابقة كذبت أنبياءها حينما جاؤوهم بالمعجزات الظاهرات، والشرائع الواضحات، وبالكتب المكتوبة، الواضحة البينة، ومع هذا كله كذب أولئك رسلهم فأخذتهم بالعقاب الأليم، والنكال والعذاب، وكان إنكاري عليهم شديدًا، عظيمًا بليغًا.

المعجـزة:

يا محمد: مجرد إرسالنا إياك بالحق، لأنك بعثت على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، واندراس من العلم، وضرورة عظيمة إلى بعثك، فبعثت رحمة للعالمين بالدين القويم والصراط المستقيم، والقرآن العظيم وما اشتمل عليه حق وصدق، فكنت بشيرًا لمن أطاعك بثواب الله العاجل والآجل، ونذيرًا لمن عصاك بعقاب الله العاجل والآجل، ولست ببدع من الرسل، لتقيم عليهم حجة الله ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]. وما من أمة من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأمم فيما سلف ومضى إلا جاءها من قبل الله من يحذرها عقابه، ويخوفها وخامة الطغيان، وسوء عاقبة الكفران.

نظرات في الكون والقرآن: الآيات (٢٧ - ٣٨):

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ
وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ
كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾
لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ
مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ
ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ
﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ
﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا
يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ
غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾ [فاطر: ٢٧- ٣٨].

- **تتجلى عظمة الله الكونية في:**

- المخلوقات المتنوعة الألوان والأنواع والأجناس.

- الثمار المتنوعة الألوان.

- الجبال الملونة الشعاب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الناس والدواب والأنعام وألوانها المتعددة الكثيرة.

- وتتضح في الكتاب المنزل وما فيه:

- من الحق المصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة.

- توريث هذا الكتاب للأمة المسلمة.

- وبيان درجة الوارثين: منهم من يشملهم من نعيم بعد عفو الله وغفرانه للمسيئين.

ومشهدهم في دار النعيم. يقابلهم مشهد الكافرين الأليم، واستغاثتهم في دار الجحيم.

- لا يتم ذلك إلا بعلم الله العليم بذات الصدور.

- **عرض الآيات:**

بسرعة خاطفة، تصور لك الآيات، الصورة الحية بين الأحياء وغيرهم في الأرض كلها، من الماء المنزل من السماء، وإخراج الثمرات المختلفة الألوان- ثم ألوان الجبال ذات الشبه بألوان الثمار وتنوعها، ذات الطرائق والشعاب، والجدد البيض منها مختلفة الألوان فيما بينها، وكذلك الجدد الحمر.

وكذلك الجدد الغرابيب السود، حالكة شديدة السواد، وتعدد أنواع وألوان الصخور داخل اللون الواحد، وذكرها بجانب ألوان الثمار تجعل الجمال عنصرًا مشتركًا بينها، وقس على ذلك ألوان الناس وأشكالهم، والدواب والأنعام وأنواعهم وألوانهم.

ذلك يجعل جباه العلماء تعنوا بالخشية والخضوع لرب هذه الكائنات. ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العلم المنجي:

هو الذي يحملك على خشية الله ﷻ.. والنبي ﷺ قال فيما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس: «أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له» وأخرجا أيضًا عن السيدة عائشة أنه ﷺ قال: «فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية» فقرن بين العلم والخشية، فمن تعلم ولم يخش لم يتعلم.

فالعلماء والعارفون يخشون الله حق خشيته، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى- كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر لأنه لا يشرك به أحدًا، ويحل حلاله ويحرم حرامه، ويحفظ وصيته، ويوقن بأنه ملاقيه، ومحاسبه على عمله، فلا يعصيه، ويرغب فيما رغب فيه، وزهد فيما سخط فيه، وأيقن أن العلم ليس من كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية، كما قال سلفنا الصالح.

والآية تحدثت عن ظاهرة اللون، وهذه معرفة الله من خلال الكون، والكتاب المفتوح وهناك معرفة بالله من خلال قرآنه حين يتلونه بتدبر، ومع التدبر إدراك، ومع الإدراك خشوع، ومع الخشوع عمل، وبعد ذلك العمل سعادة ... تدبر فإدراك، فخشوع، فتطبيق فسعادة هذه المعاني منطوية في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] في النطق، والفهم، والتطبيق. حينئذ يشعر بحاجته إلى أن يتصل بربه، فيقيم الصلاة، ويحسن إلى خلق الله فينفق مالًا أو علمًا، أو جاهًا، أو قوة، أو خبرة، والدين في مجمله:

معرفة، واتصال، وإحسان.. معرفة بالله، واتصال به، وإحسان إلى خلقه.. والله ﷻ يحب أن تتجر معه في الدنيا، وأن تربح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف: ١٠- ١٢]. فأنت تربح مع الله أضعافًا مضاعفة في تجارتك وهي كثيرة لا يعلمها إلا هو.

- فتعبك في الدنيا، وتحملك المشاق، وأداؤك الصلوات في أوقاتها، وذهابك إلى مجالس العلم، وغض بصرك، وورعك عن مال حرام، وقولك دائمًا: إني أخاف الله رب العالمين، وضبط شهواتك، وضبط جوارحك ولسانك، وإنفاق مالك، ووقتك، والصبر على الطاعات وعن الشهوات، وعلى الملمات... هذا كله ستجده في صحائفك يوم القيامة ولن يضيع عليك شيء منه عند الله ﷻ: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥] بل سيزيدك من فضله فوق الأجور التي تستحقها. ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ غفر لهم أخطاءهم وذنوبهم وشكرهم على أعمالهم الصالحة، وضاعف لهم حسناتهم.

- إن دلائل الحق في القرآن واضحة في صلبه، فهو القراءة الصحيحة لهذا الكون في حقيقته، أو هو الصفحة المقروءة والكون هو الصفحة الصامتة، ومصدق لما قبله من التوراة والإنجيل والزبور لأنها صادرة من مصدر واحد، والحق لا يتعدد فيها وفيه، ومنزله على علم بهم وخبرة بما يصلح لهم ويصلحهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾.

وراثة الأمة المسلمة واصطفاؤها لهذا الكتاب:

لما كانت هذه الأمة أكمل عقولاً، وأحسنهم أفكارًا، وأرزقهم قلوبًا، وأزكاهم نفسًا، اصطفاهم، واصطفى لهم دين الإسلام، وأورثهم الكتاب المهيمن على سائر الكتب.

وهو من أجَلّ النعم على الإطلاق، وأكبر الفضل. وهذا يبرز كرامة هذه الأمة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

على الله، لضخامة التبعية عن هذا الاصطفاء وتلك الوراثة. وهم أقسام في هذا:

- الأول: ظالم لنفسه: وهو المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، أي من تربو سيئاته على حسناته.

- الثاني: المقتصد: المؤدى للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات. وهو وسط تتعادل سيئاته مع حسناته.

- الثالث: السابق بالخيرات: القائم بفعل الواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات، فحسناته تربو على سيئاته.

قال ابن عباس في الآية الكريمة: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب. ففضل الله يشمل الثلاثة جميعًا، فكلهم انتهى إلى الجنة وإلى النعيم الموصوف في الآيات التالية على تفاوت في الدرجات.

- روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله: «﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾. فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا، فأولئك يحاسبون حسابًا يسيرًا، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾» والحديث إسناده صحيح.

- وعن عبد الله بن مسعود أنه قال: هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة، ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا، وثلث يجيئون بذنوب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

عظام. حتى يقول: ما هؤلاء؟- وهو أعلم تبارك وتعالى- فتقول الملائكة: هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك، فيقول الرب ﷻ: ادخلوا هؤلاء في سعة رحمتي، وتلا عبد الله هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية.

- وعن عقبة بن صُهبان الهنَّائي قال: سألت عائشة عن قول الله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية، فقالت لي: يا بني: هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ شهد له رسول الله ﷺ بالجنة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه: فمثلي ومثلكم، قال: فجعلت نفسها معنا، وهذا منها، رضي الله عنها، من باب الهضم والتواضع، وإلا فهي من أكثر السابقين بالخيرات، لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

- **حسن الجزاء:**

النعيم في الأصناف الثلاثة مادي ومعنوي فجنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على الله ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء».

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣)﴾ ولهذا كان محظورًا عليهم في الدنيا، فأباحه الله لهم في الآخرة، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة: وهذا هو النعيم المادي، وأما النعيم الحسي وهو الرضا والأمن والاطمئنان فقد أخبر عنه سبحانه بقوله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ والدنيا بما فيها من قلق على المصير ومعاناة للأمور تعد حزنًا بالقياس إلى هذا النعيم المقيم، والقلق يوم المحشر، على المصير مصدر حزن كبير ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤)﴾ غفر لنا وشكر لنا أعمالنا بما جازانا عليها ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ للإقامة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والاستقرار ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ فما لنا عليه من حق، إنما هو الفضل يعطيه من يشاء، ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ بل يجتمع لنا فيها النعيم والراحة والاطمئنان فالجو كله يسر وراحة ونعيم، حيث أنهم كانوا يدئبون أنفسهم في العبادة في الدنيا، فسقطت عنهم التكاليف بدخولها، وصاروا في راحة مستمرة، قال سبحانه: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤].

- سوء المصير:

لما ذكر الله تعالى حال أهل الجنة ونعيمهم ذكر حال أهل النار وعذابهم لنرى القلق والاضطراب وعدم الاستقرار على حال. وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فلا يموتون فيها ولا يحيون»، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧]. فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك. فحياتهم في النار ليذوقوا عذاب الحريق، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾. ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ ينادون فيها، يجأرون إلى الله ﷻ بأصواتهم ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم الأول، وقد علم الحق جل جلاله أنه لو ردهم إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون، فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم، ولهذا قال: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أو ما عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق به في مدة عمركم، وقد روى الإمام البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعذر الله ﷻ إلى امرئ أخّر عمره حتى بلَّغه ستين سنة» فهم لم ينتفعوا بهذه الفسحة من العمر، وهي كافية للتذكر لمن أراد أن يتذكر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ وهو زيادة في التنبيه والتذكير، جاءكم الحق على ألسنة الرسل فأبيتم وخالفتم ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ [الملك: ٨- ٩] ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ ذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم الأنبياء في مدة أعماركم، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال.

إنهما صورتان متقابلتان:

أهل الجنة: - الأمن والراحة تقابلها صورة القلق والاضطراب (أهل النار).

- الشكر والدعاء تقابلها الضجة والاصطراخ والنداء.

- العناية والتكريم يقابله الإهمال والتأنيب.

والله يعقب على هذه المواقف والمشاهد جميعًا وعلى ما سبقها بقوله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨﴾ وبهذا العلم الشامل اللطيف الدقيق يقضي في كل الأمور.

تنقلات فسيحة مع البشرية والكون: الآيات (٣٩ - ٤٥):

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ٣٩ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: ٣٩- ٤٥].

- البشرية في أجيالها المتعاقبة يخلف بعضها بعضًا.
- أثر الشركاء الذين يدعونهم من دون الله.
- قوة الله القادرة التي تمسك السموات والأرض أن تزولا.
- المكذبون بتلك الدلائل والآيات.
- الناقضون للعهد حال وجود النذير.
- مصارع المكذبين السابقين، ولا يعتبرون بهم.
- فضل الله العظيم في إمهال الناس، وتأجيل استئصال شأفتهم.
- **تتابع الأجيال في الأرض:**

بتتابع الأجيال وتلاحقها، جيلاً بعد جيل، وقبيلاً بعد قبيل عظة وعبرة لمن يأتي خلفهم، فيتأملون آثار من قبلهم، ويتذاكرون أخبارهم، فيتذكر الغافلون أن كل شيء يمضي ويزول، وينتهي ويحول، والله هو الباقي الدائم الذي لا يزول ولا يحول.

ويعلم أن الله أعطى كل شيء أجل، ليرى ماذا ترك وماذا عمل، ثم يصير إلى من يحاسبه على ما قال وما فعل، فيحسن بقاءه القليل، ويترك وراءه الذكر الجميل، ويقدم ما ينفعه في مثواه الأخير.. وفي هذا لا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يدفع أحد عن أحد شيئًا، ويشير إلى ما هم فيه من إعراض وكفر وضلال، وعاقبته الخاسرة في نهاية المطاف: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾. والمقت أشد البغض، ومن يمقته ربه فقد خسر خسرانًا مبينًا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقصي آثار أخبار المشركين:

يقول تعالى معجزًا لآلهة المشركين، ومبينًا نقصها وبطلان شركهم من جميع الوجوه ﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول لهم: ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: أخبرُني عنهم هل هم مستحقون للدعاء والعبادة ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ هل خلقوا بحرًا أم خلقوا جبالاً، أو خلقوا حيوانًا، أو خلقوا جمادًا؟ سيقرون أن الخالق لجميع الأشياء هو الله تعالى. وهل لشركائكم أي مشاركة في خلقها وتدبيرها؟ سيقولون: ليس لهم شركة في ذلك.

فإذا لم يخلقوا شيئًا ولم يشركوا الخالق في خلقه، فلم عبدتموهم ودعوتموهم مع إقراركم بعجزهم؟ فانتفى الدليل العقلي على صحة عبادتهم ودل على بطلانها، ثم ذكر الدليل السمعي وهو أيضًا منتف، فلهذا قال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ يتكلم بما كانوا به يشركون يأمرهم بالشرك وعبادة الأوثان. ﴿فَهُمْ﴾ في شركهم ﴿عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك؟ ليس الأمر كذلك، فإنهم ما نزل عليهم كتاب قبل القرآن، ولا جاءهم نذير قبل رسول الله محمد ﷺ ولو قدر نزول كتاب إليهم وإرسال رسول إليهم وزعموا أنه أمرهم بشركهم فإنا نجزم بكذبهم لأن الله قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] فالرسل والكتب كلها متفقة على الأمر بإخلاص الدين لله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ أي: ذلك الذي مشوا عليه ليس لهم فيه حجة، وإنما ذلك توصية بعضهم لبعض به وتزيين بعضهم لبعض واقتداء المتأخر بالمتقدم الضال، وأماني منَّاها الشياطين وزينت لهم سوء أعمالهم، فنشأت في قلوبهم وصارت صفة من صفاتها فعسر زوالها، وتعسَّر انفصالها فحصل ما حصل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

من الإقامة على الكفر والشرك الباطل المضمحل.

- **إمساك الله السموات والأرض تنفي الأنداد والشركاء:**

نظرة إلى السموات والأرض، وإلى هذه الأجرام التي لا تحصى متناثرة في ذلك الفضاء الذي لا نعلم له حدود، وكلها قائمة في مواضعها دائرة في أفلاكها، محافظة على مداراتها، لا تختل، ولا تخرج عنها، ولا تبطئ أو تسرع دورتها، وهي لا تقوم على عمد، ولا تشد بأحبال متينة، ولا تستند على شيء- جديرة بأن تفتح البصيرة على قدرة الله القاهر القادرة، التي تمسك بهذه الخلائق أن تزول. ولئن زالت عن مواضعها، واختلت، وتناثرت، فما أحد بقادر على أن يمسكها بعد ذلك.

وذلك هو الموعد الذي ضربه القرآن لنهاية هذا الوجود، حين يختل نظام الأفلاك وتضطرب وتتناثر، وكل شيء في هذا الفضاء لا يمسك زمامه.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١﴾ يمهل الناس ولا ينهي هذا العالم، إلا بأجل معلوم، ويَدع الوقت للتوبة والعمل والاستعداد و﴿غَفُورًا﴾ لا يؤاخذ الناس بكل ما اجترموا واجترحوا، بل يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها متى علم فيهم خيرًا.

- **تحذير للناقضين للعهد المفسدين في الأرض:**

هؤلاء العرب كفار مكة عاشوا مع اليهود، وعلموا أن اليهود كذبوا رسلهم، وقتلوهم ووقفوا موقفًا لا يليق بهم، فكانوا يقولون: لو جاءنا رسول لصدقناه، ولآمنا به، ولنصرناه، ولا نكون كاليهود في تكذيبهم رسلهم، وفي قتلهم أنبياءهم، وبالغوا في حلف الأيمان: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو النبي ﷺ ومعه دليل رسالته ومعجزته القرآن ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤٢﴾ كذبوه وعادوه وحاربوه، فعلوا ذلك ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ وهذه خطة يتبعها الماكر لصرف خصمه عن قصده ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ فالكافر يمكر ويخطط، وبسبب تخطيطه وتدبيره ومكره، يُدَمَّر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وهؤلاء تنتهي حياتهم، وآثار مكرهم، فالسوء ينتهي بالموت، والماكر يعذب بمكره إلى أبد الآبدين، إنه يحل بهم ما حل بالمكذبين قبلهم وسنة الله ثابتة ماضية.

سنة الله ثابتة ماضية:

السير في الأرض، والوقوع على مصارع الغابرين، وآثار الذاهبين، وربطها بقوانينها الكلية، وهؤلاء كانوا أشد منهم قوة فلم تعصمهم من المصير المشؤوم. هذا يوجه الإنسان إلى قوة الله الكبرى التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء أن تأخذ اللاحقين المكذبين كما أخذت السابقين الكافرين ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يحيط علمه بكل شيء فيهما، وقدرته قائمة بجوار علمه، ومن هنا لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ولا مهرب من قدرته، ولا استخفاء من علمه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾.

- حلم ورحمة بجوار القوة والقدرة:

ما يرتكبه الناس من شرور في الأرض وظلم وطغيان، وشرك وكفران، أمر منكر شنيع وفظيع، ولو آخذهم الله به لأهلكهم وأهلك كل من في الأرض ولأصبحت غير صالحة للحياة، غير أن الله حليم لا يعجل، فيؤخرهم حتى تنقضي أعمارهم، ويأتي من بعدهم حتى نهاية هذا الوجود بأسره، وعند الله سبحانه العادل كل يلقى جزاء عمله، وهو جلت قدرته كفيل بذلك ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

شبكة الألوكة - قسم الكتب